تلاوة القرآن الكريم.. مقدمة لتغلغل مفاهيمه في القلوب

المكان: طهران ـ حسينية الإمام الخميني (ره)

الحضور: حشد من القراء وأساتذة القرآن الكريم

المناسبة: الجلسة القرآنية السنوية في اليوم الأول من شهر رمضان

الزمان: ١٣٩٤/٣/٢٨ش. ١٤٣٦/٩/١هـ. ٢٠١٥/٠٦/١٨م.

بسم الله الرحمن الرحيم (١)

نتقدم بالشكر الجزيل للإخوة الأعزاء، وقد استفدنا اليوم حقاً، فقد كانت هذه الجلسة جلسة جيدة جداً ومتنوعة وجزلة وجميلة وعميقة المعاني والحمد لله. أنْ نشاهد في كل سنة، ولله الحمد، علامات التقدم في مجال تلاوة القرآن الكريم مشهودة بين شبابنا وأبناء شعبنا فهذا ما يريحني من الأعماق، ونشكر الله عليه. واليوم أيضاً وببركة هذه التلاوات الحسنة جداً والحمد لله كانت الجلسة جلسة عميقة المعاني وطيبة، خصوصاً مع هذه الإشارة التي ذكرها المقدم صاحب الذوق والكلام الحسن بشأن إهداء ثواب هذه التلاوات وحصيلة هذه الجلسة للأرواح الطيبة للشهداء الذين تم تشييعهم مؤخراً في طهران. تلاوة القرآن الكريم بصوت جميل وبألحان جيدة وبآداب التلاوة وقواعدها مقدمة لتغلغل مفاهيم القرآن الكريم إلى القلوب. إذا سلبنا هذه الفائدة ونظرنا لتلاوة القرآن كمجرد صوت حسن وألحان فلا شك في أنها ستسقط عن هذه المرتبة الرفيعة. كل هذا التأكيد على قراءة القرآن بصوت حسن وبآداب التلاوة وبألحان جيدة الهدف منه تأثير مفاهيم القرآن في القلوب، وأن نأنس بالقرآن ونتلفع بلون القرآن وخلقه وشكله. إذا كان هذا هو المقصود كان لذلك شروطه وآدابه. الأدب الأول هو أن يتلو القارئ القرآن وهو مؤمن بالقرآن ومعتقد بمفاهيمه التي يتلوها. إذا لم نكن نعلم ما الذي نتلوه ولم ندرك المفاهيم ولم تأثر هذه المفاهيم في أعماق أرواحنا فسيكون تأثير تلاوتنا قليلاً على الآخرين وعلى أنفسنا. هذا هو الشرط الأول.

ما أرجوه من القراء المحترمين وأساتذة القرآن وقرائه هو التنبه إلى هذه النقطة. الآيات التي يريدون تلاوتها، ليراجعوها في أذهانهم ويتدبروا فيها ويكرسوا أعماقها في قلوبهم ومعتقداتهم بصورة صحيحة. ليتلوا القرآن بهذه الروح وبهذه الأرضية وبهذا الاستعداد، وسوف تؤثر هذه التلاوة في أعماق أرواح المستمعين. طبعاً تقدمتم كثيراً إلى هذا اليوم، وأنا ألاحظ مسار حركة القرآن الكريم في البلاد منذ سنين طويلة، وقد تقدم شبابنا اليوم كثيراً، وقراؤنا وأساتذتنا صاروا جيدين والحق يقال، ولكن لا يزال هناك مجال كبير لمزيد من التأثير.

لقد سجلتُ نقطتين أو ثلاث نقاط. إحداها إنكم ترومون بتلاوتكم تلقين المفاهيم القرآنية للمستمعين. صحيح أن معظم مستمعيكم لا يجيدون العربية ولغة القرآن، بيد أن معجزة القرآن هي أنكم حتى لو لقنتم هذه الآيات من أعماق الأرواح وبشروطها على هذا النحو وبدون أن يعرف المستمعين العربية، فإن المفاهيم ستنتقل إلى الأذهان وإنْ على نحو الإجمال. ولهذا طبعاً شروطه. إنني استمع إلى التلاوات التي تبث في راديو التلاوة – وهو فرصة جيدة وإمكانية حسنة للاستماع للتلاوات – واستمع لما يقرؤه أساتذتنا وقراؤنا الجيدون. أقول للإنصاف إن قراءنا جيدون جداً ومميزون من حيث حسن الصوت. وهذا ما أيده القراء الأجانب ويؤيدونه. لقد سمعتُ منهم أنهم يثنون على الأصوات الإيرانية. بعض أصواتكم والحق يقال أصوات حسنة بذاتها، وجميلة السنخ، وذات خصوصيات جيدة ومميزة، وينبغي إرفاق هذا بشروط التلاوة.

من شروط التلاوة أن تركزوا عند تلاوة الآية القرآنية على النقاط التي كنتم ستركزون عليها في الحالة العادية لو أردتم تفهيم تلك الآية للمتلقين. شددوا حتماً على تلك النقاط. وإذا أردنا التشبيه شبهنا بهؤلاء السادة مداحي أهل البيت الذين يقرأون الأشعار الفارسية، حيث ترون أنهم يقرأون الكلمات والفقرات المميزة المقصودة من كل جملة بشكل يكرس ذلك المفهوم في أذهان المتلقين. وهكذا هو الحال في التحدث والتحاور العادي. بالشكل العادي حينما تتحدثون، إذا وجدتم كلمات تعتقدون أن لها مفاهيم بارزة ومميزة – الكلمات التي تحمل تلك المفاهيم – فإنكم ستتلفظون تلك الكلمات بطريقة وتشديد خاص، وهكذا ينبغي قراءة القرآن، شددوا على الكلمات الخاصة، والهجوا بالجملات والفقرات بما يكرس مضامينها ومعانيها في أذهان المخاطبين، أي عليكم بالتعبير والأداء الجيد. أحياناً من أجل أن تستقر الفكرة في ذهن المتلقي قد يتطلب الأمر تكرار الجملة، فعليكم بهذا التكرار. لقد انتقدتُ في نفس هذه الجلسة قبل سنوات الذين يكررون الآيات كثيراً. وأريد أن أقول إن التكرار ضروري وحتمي في بعض الأحيان، فالمعنى لا ينعكس بالقراءة لمرة واحدة ويجب التكرار مرتين أو ثلاث مرات. وأحياناً يجب تكرار آيتين أو ثلاث آيات.

ولا أقصد الإفراط في هذا المضمار. وجدنا بعض القراء المصريين يفرطون في هذا المجال، فيكون للأمر تأثير سلبي. لا أقصد الإفراط، إذ ليس من المحبذ أن نكرر شيئاً عشر مرات أو ثماني مرات. وقد يكون الأمر دارجاً في القراءات العربية لكنه ليس بالشيء المحبذ في قراءة القرآن. غير أن التكرار بالقدر الذي يكرس المفهوم في ذهن المتلقي شيء لازم. وأحياناً يشعر المرء أن القارئ كأنه أمسك بكتاب وراح يقرؤه فهو يقرأ العبارة ويمضي، وهذا غير جيد ولا محبذ. يجب أن تنقلوا المفاهيم وتعكسوها في ذهن المتلقي، وهذا يحصل أحياناً بالتكرار وأحياناً بالتشديد وأحياناً بالتأكيد على جملة، وأحياناً بالتأكيد على كلمة. هذا شيء ينبغي أن يكون. نقطة أخرى يتوجب أن تحظى بالاهتمام هي مراعاة موازين اللحون. طبعاً هذه

الألحان العربية وألحان القرآن غريبة على أبناء شعبنا وقرائنا وليست مأنوسة معروفة لديهم، لذلك ترون أنهم عندما يقرأون الشعر الفارسي يقرأونه بألحانه المناسبة له، وإذا أرادوا قراءة شعر عربي أو جملة عربية فقد لا يجدون اللحن المناسب لها، لأنها ألحان أجنبية وغريبة علينا وليست معروفة ومأنوسة عندنا، وهي ليست كالألحان والأنغام الفارسية. لكن الألحان القرآنية بسبب تكرارها بين أهل القرآن وأهل التلاوة صارت مستساغة تدريجياً وبدأ الناس يعرفونها، ويجب أداء هذه الألحان بصورة صحيحة. أسمع أحياناً قارئاً يقرأ تلاوات بصوت حسن، بصوت جميل جداً، صوت له نوع جيد وقوة جيدة وجاذبية وقدرة تحرير جيدة، يقرأ آية ولكنه لا يراعي اللحن، ومن الضروري مراعاة لحن الكلام، أي نظام النغم والشيء الذي تقوم تلاوتكم على أساسه. إنكم لا تقرأون القرآن بشكل عادي بل بلحن ونغم. ربما في كل الأديان – وهذا في حدود اطلاعي على بعض الأديان التوحيدية وحتى الأديان غير التوحيدية – يقرأون النصوص المقدسة بألحان، وقد شاهدنا هذا عن كثب. إذن حين تتلون القرآن بلحن يجب أن تأدوا هذا اللحن بشكل صحيح. ينبغي أداء اللحن بموازينه، وإذا لم يراع اللحن فإن التلاوة لن تترك أثرها المطلوب بلا شك، وقد تترك تأثيراً عكسياً في بعض الأحيان.

وأذكر نقطة هي أنكم جميعاً على وجه التقريب قراء تفضلتم بالمجيء هنا، ومن الأمور التي شاعت بين القراء العرب – بين المصريين وغيرهم – وانتقلت من هناك إلى داخل بلادنا الاهتمام بالنفس الطويل. وأنا لا أدرك ما الوجه في هذا العمل. لا ضرورة أبداً لأن نربط كلمات القرآن والآيات أحياناً بعضها ببعض من أجل أن نطيل النفس، يبدو لي أن هذا لا ضرورة له أبداً. أحياناً يكون لازماً ويتوقف عليه أداء مفهوم الآية بأن تقرأ الآية بنفس واحد، نعم، ليفعلوا ذلك، وإلا فجمال التلاوة وتأثيرها غير منوط ألبتة بالنفس الطويل، وبعض القراء المصريين فنهم وميزتهم في أن يقرأوا بنفس طويل، والمستمعون يشجعونهم أكثر بطريقة عامية عندما يقرأون بنفس طويل، ويرددون الله الله. اعتقد أن ما يفعله هذا القارئ خطأ وكذلك ما يفعله المستمع. لدينا من بين القراء المصريين الجيدين شخص أو أشخاص أنفاسهم قصيرة، لكن قراءتهم جيدة جداً وتأثيرهم جيد، ومنهم عبد الفتاح الشعشاعي. وتعلمون أن نفسه قصير لكنه قدّم في الوقت ذاته بعض أفضل التلاوات وأكثرها تأثيراً، ونسأل الله تعالى أن يشمله وجميع قراء القرآن برحمته ومغفرته.

إذن، الذي أرجوه من السادة أن لا يشقوا على أنفسهم في قضية النفس. ولا حاجة أبداً لتكرار الكلمات والآيات تلو بعضها. ولأنّ الوقت قد انتهى ويريدون رفع الأذان كما يبدو، أقول هذه الكلمة: أرجوا أن يراعوا الحدود في التشجيع وقول الله الله، وهو أيضاً تقليد للعرب. البعض بمجرد أن يبدأ المقرئ بالتلاوة يبدأون بالترنم بـ «الله» من بعده، وكأنه من التوابع اللازمة للتلاوة أن يقول الطرف الآخر «الله»! لا ضرورة لهذا أبداً. أحياناً تتأثرون أو أن القارئ يقرأ بشكل جميل جداً ومؤثر جداً، فتشجعون تلقائياً – لا إشكال في هذا ولكن بمجرد أن يبدأ القارئ بالتلاوة ونريد من هنا أن نقول «الله الله» فهذا ما لا ضرورة له أبداً.

الذي أرجوه أن توصوا في الجلسات التي تتولون أستاذيتها وتشاركون فيها بعدم الإفراط في قول «الله الله». عندما يقرأ المقرئ بشكل جيد جداً حقاً وجميل جداً، لا إشكال في التشجيع، أما من البداية، بحيث يتوقع الإنسان أحياناً بمجرد أن قال «أعوذ بالله من الشيطان الرجيم» أن يقولوا «الله اكبر»، فهذا غير صحيح. نتمنى أن يحشركم الله جميعاً مع القرآن ويعمّر آخرتكم ببركة القرآن.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

---

١ – أقيمت هذه الجلسة في اليوم الأول من شهر رمضان المبارك، وقبيل كلمة الإمام الخامنئي، قدّم فيها عدد من القراء تلاواتهم كما قدمت فرق تواشيح تلاوات جماعية وابتهالات لله عزّ وجلّ.